بعد ثورة الأديب على الزعيم

لقاء العوامة بين
نجيب محفوظ وخالد عبد الناصر

obeikandl.com

obeikandl.com

«أهلا ،أهلا،شرفتني قوي يا غالي يا بن الغالي».

كان الأديب الكبير نجيب محفوظ يجلجل بالضحك وهو يردد هذه الكلمات ، ترحيبا بالدكتور خالد نجل الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

عانقه خالد بحرارة ،وعلى رأسه طبع أكثر من قبلة وهو يرد: «ازيك يا أستاذنا، وازي صحتك ،انت اللي غالي عندنا ،واحنا كلنا بنحبك».

كنا في السادسة والنصف من مساء منتصف شهر يونيه عام ١٩٩٩ ،وكانت مركب « ليلة » الراسية على شاطئ النيل بالقرب من السفارة الروسية،ومنزل الرئيس الراحل أنور السادات ،هي مكان هذا اللقاء النادر بين نجيب محفوظ سيد الرواية العربية ،و خالد نجل الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

لم يكن اللقاء صدفة وإنما جاء بعد ترتيبات بيني وبين الأديبين الكبيرين جمال الغيطاني ويوسف القعيد،وذلك على خلفية الضجة الكبيرة التي أثارها كتاب«نجيب محفوظ ..صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته»،والذي كتبه الناقد رجاء النقاش على أنه سيرة أدبية وسياسية وشخصية لأديب نوبل .

احتوى الكتاب على هجوما ضاريا من نجيب محفوظ ضد جمال عبد الناصر وثورة يوليو ١٩٥٢ ، وشمل الهجوم كل شيء تقريبا،قال نجيب : إن علاقته الوجدانية بالثورة ،تنقسم مابين التأييد والحب من جهة ،والنقد الشديد بسبب تجاهلها للديمقراطية وللوفد ،وميلها إلى الفردية والصراع على السلطة من جهة أخرى، وأنه لم يتعاطف كثيرا مع عبد الناصر عندما جرت محاولة اغتياله في ميدان المنشية بالإسكندرية عام ١٩٥٤ ،وتألم لقرار الثورة بإعدام العاملين خميس والبقري، وأضاف : إنه لا يوجد أحد من جيله إلا وشعر بصدمة شديدة من انفصال السودان عن مصر.

أما عن قرار تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ ورغم تعبيره عن الإرادة الوطنية في أعظم تجلياتها ، وكذلك الانتصار على العدوان الثلاثي إلا أن نجيب محفوظ قرأه على نحو مختلف ،فتأميم القناة حسب قوله :«كان خسارة فادحة لمصر ،لأنه أدخلها في صدام مباشر مع القوى الكبرى، كما أن موعد عودة القناة إلى مصر كان يحل في عام ١٩٦٨ ،ولو انتظرنا إلى هذا التاريخ ما اضطررنا إلى دفع تعويضات»

شمل هجوم نجيب محفوظ على عبد الناصر قضايا أخرى مثل صفقة الأسلحة التشيكية التي جعلت مصر تحول اتجاهاتها إلى الكتلة الشرقية،وقال عنها:«في اعتقادي أن هذه الخطوة رغم أننا أيدناها عن جهل أضرت بمصر ،ولم يسلم أيضا مشروع السد العالي من الهجوم،ومجانية لتعليم من الانتقاد،أما عن السياسة الخارجية فقال محفوظ : «عبد الناصر أدارها بأسلوب حماسي ،وتحول إلى محرر عالمي وفارس مغوار يقف إلى جوار الدول التي تجاهد في سبيل الحرية والاستقلال،واكتسب عبد الناصر شعبية هائلة في دول العالم الثالث ،ومازالوا حتى اليوم يتذكرونه ويتغنون باسمه،وحقق مجدا شخصيا لم يسبقه إليه زعيم آخر ،ولكن مصر خسرت الكثير من جراء هذه السياسة»

.ويضيف نجيب :«لم أكن لألوم عبد الناصر على سياسته لو كانت لديه القدرة العسكرية والاقتصادية التي تمكنه من مجابهة القوي الاستعمارية الكبرى وتحديها،أما وأنه لا يملك هذه القوة،فكان ينبغي له السير على المثل الشعبي المصري :«على قد لحافك مد رجليك».

مضى أديب نوبل في هجومه على عبد الناصر وثورة يوليو في قضايا أخري مثل،الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ،وقرارات يوليو لاشتراكية عام ١٩٦٢ ،ومساندة ثورة اليمن عام ١٩٦٣ ، ثم نكسة ٥ يونية ١٩٦٧ قائلا عنها:«لم يحدث لي ذهول وانكسار في النفس مثلما حدث في تلك اللحظة.وما تلاها،حيث

أصابتني حالة فظيعة من الحزن والاكتئاب وعدم التصديق، كنت كمن يعيش في حلم جميل،وفجأة سقط من فراشه على أرض صلبة».

ويتحدث عن يوم تنحي عبد الناصر بسبب النكسة ومظاهرات الجماهير في ٩و١٠ يونية التي طالبته بالعودة،وكيف أنه ثار على فكرة التنحي ورفضها :«كان عبد الناصر هو رمز الأمل في حياة جيلنا ،وهو الزعيم الذي تعودنا أن نحصل منه على الأمل ،ولما أذيع بيان التنحي تأكدنا أننا وصلنا إلى القاع ،ومع ذلك ثرت على فكرة التنحي ورفضتها».

وفي تقييمه لمرحلة التالية لنكسة ٥ يونية ١٩٦٧ قال :«الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن عبد الناصر بذل جهدا كبيرا في السنوات الثلاث الأخيرة في حياته ، وهي السنوات التي تلت النكسة وحتى يوم وفاته،لإعادة تنظيم الجيش والدولة ، واستطاع بهذا الجهد خاصة مع ما تحقق من إنجازات في حرب الاستنزاف أن يسترد كثيرا من هيبته ،ومن الأمل في استعادة الكرامة المهدرة ساعده على ذلك الشعور الذي ترسخ لدي الناس بأن القوى الكبرى تآمرت عليه،وأنه لم يهزم من إسرائيل وحدها».

ويتذكر يوم رحيل عبد الناصر قائلا:«تم الإعلان عن أن أنور السادات (نائب الرئيس جمال عبد الناصر) سوف يلقي بيانا إلى الأمة،ولما أطل السادات بوجهه على شاشة التليفزيون قلت لزوجتي:جمال عبد الناصر مات».

يضيف نجيب:«كان وجه السادات عندما ألقى البيان مرهقًا ومكتئبًا،وكانت عيناه شاردتين ،وفي تلك اللحظة بالذات خطر لي شعور غريب جدا ليس له علاقة بما نحن فيه،فقد أفقت على حقيقة ربما غابت عن ذهني،وهي أن الناس جميعا ستموت ،كان عبد الناصر يعطيني شعورا خرافيا بالخلود ،فلم أتصور أن يأتي يوم يموت فيه كما يموت البشر ،أما وقد رحل وفارق الدنيا فمن المؤكد أننا جميعا

راحلون ،وأفقت على صوت زوجتي وهي تقول:يلا خلينا نتنفس ،وأحزنني قولها مع خلوه من الشماتة ،فرغم أخطاء عبد الناصر الكبيرة ،ورغم أن هناك قدرا من السخط الذي كان يعتمل داخلنا ضده ،إلا أن رحيله كان مؤثرا للغاية ،لأن الرجل أعطانا من الآمال والأحلام ما لم نشعر به من قبل ،وسيطر على تفكيري نفس السؤال الذي راودني يوم تنحي عبد الناصر،وهو :من في مصر يمكن أن يخلف عبد الناصر؟».

في مقابل الهجوم على عبد الناصر تحدث نجيب محفوظ في مذكراته بالتقدير والتبجيل عن سعد زغلول:«هو أكثر زعماء مصر المعاصرين قربا من نفسي،عندما اندلعت أحداث ثورة ١٩١٩ ،كان عمري لا يتجاوز سبع سنوات،ومع ذلك كان وجداني كله مع الوفد وزعيمه ».

ويصل نجيب محفوظ في درجة محبته لسعد زغلول حد أنه يرفض القول بأن جنازة جمال عبد الناصر أضخم جنازة في تاريخ مصر كله قائلا:«في رأيي أن جنازة سعد زغلول لا تقل عنها ،بل ربما تزيد »، ويسنده في ذلك ،أن سكان القاهرة عند وفاة عبد الناصر كانوا يزيدون عدة أضعاف عنهم يوم وفاة سعد زغلول،وأن سعد مات في العاشرة مساء ،وخرجت جنازته في اليوم التالي ،أما عبد الناصر فظل عدة أيام(ثلاثة) بدون دفن حتى يحضر سكان الأقاليم إلى القاهرة،وكذلك زعماء العالم للمشاركة في الجنازة،هذا بالإضافة إلى أن وسائل الإعلام الحديثة لعبت دورا كبيرا في حشد الجماهير لجنازة عبد الناصر ،في حين لم تكن تلك الوسائل متوافرة يوم جنازة سعد زغلول.

عواصف الرفض

أثارت هذه الآراء من سيد الرواية العربية عاصفة هائلة توزعت بين الرفض والقبول،ومع حدة الهجوم عليه،اضطر وقتها إلى الإدلاء بأكثر من حوار صحفي ،

يوضح فيه بعض الالتباسات،ويذكر ايجابيات عبد الناصر التي لم يأت عليها ذكر في الكتاب ،مثل انحيازه للفقراء،وسياساته من أجل إحداث عدالة اجتماعية ،أما رجاء النقاش فذكر ضمن ردوده على المنتقدين «بأن آراء نجيب محفوظ هي تطوير للناصرية» ، فسخر البعض من هذا الرأي ، وكان في مقدمتهم جلال عارف الكاتب الصحفي ونقيب الصحفيين المصريين (٢٠٠٤- ٢٠٠٧) ،قائلا:«عشنا وشوفنا نجيب محفوظ يطور الناصرية».

ظل الوضع على هذا الحال لفترة ،يدلو فيه سياسيون ومفكرون وكتاب وصحفيون، بدلوهم حول ما إذا كان سيد الرواية العربية مخطئًا أم مصيبًا، لكن بقيت أسرة الزعيم الراحل بعيدة عما يحدث، تسير بذلك على النهج الذي قطعته على نفسها ، منذ أن بدأت حملة الهجوم على الرجل في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، ولم تشذ عنه إلا مرات قليلة،انتقل فيها الهجوم من السياسة إلى الذمة ، ومن العام إلى الخاص.

مرت شهور حتى هدأت العاصفة،وجددت طلبي للدكتور خالد عبد الناصر،بإجراء حوار صحفي شامل،كان يؤجله حتى ينتهي الكلام حول ما ذكره نجيب محفوظ، وأجرينا الحوار الذي تم نشره على ثلاث حلقات في جريدة البيان الإماراتية،وحلقة مختصرة في جريدة العربي لسان حال الحزب الناصري

تعرض الحوار لذكريات عن علاقة جمال عبد الناصر بالفن والثقافة، وكيف غرس في أبنائه حب قراءة الأدب ،وتحدث خالد عن كوكب الشرق أم كلثوم بوصفها«طنط» إلى جانب كونها فنانة كبيرة،وتحدث عن صداقة عبد الحليم حافظ وحب الوالد له، وحب والدته السيدة الجليلة تحية كاظم لصوت فريد الأطرش بالإضافة إلى صداقتها العميقة لأم كلثوم،وتحدث بإجلال وتقدير عن الكاتب الراحل أحمد بهاء الدين ،والكاتب الكبير محمد حسنين هيكل ،والمفكر القومي

الراحل دكتور عصمت سيف الدولة.

والمفارقة أن الحوار تعرض إلى نجيب محفوظ ،و تعرض أيضا إلى الأديب الكبير الدكتور يوسف إدريس ،أي تعرض لقيمتين عظيمتين في عالم الكلمة والأدب ،والاثنان كان لهما رأيان سلبيان ،محفوظ فيما ذكره في مذكراته،وإدريس في قضية لم يعلق عليها أحد من أبناء عبد الناصر باستفاضة قبل حواري معه .

تسامح خالد مع نجيب رغم «وفديته »المعادية تاريخيا لجمال عبد الناصر،لكنه لم يتسامح مع إدريس رغم «يساريته » المؤيدة لجمال عبد الناصر، والمدافعة عنه وقت اشتداد حملة الهجوم عليه في السبعينيات من القرن الماضي ، وكان ممن يعادون السادات وألف كتابا ضده بعنوان « البحث عن السادات »، كما لم يكن بعيدا عن تقدير السلطة الناصرية ،ومما يرويه سامي شرف مدير مكتب عبد الناصر،أن الزعيم الراحل انزعج عندما قرأ مقالا له في مجلة «حوار »اللبنانية 'لتي كانت تابعة للمخابرات الأمريكية،يقول سامي:«طلبت يوسف إدريس للتحدث معه في هذا الشأن، واستقبلته وشرحت له المسألة بعد أن نقلت له تحيات الرئيس عبد الناصر،فانزعج وأخبرني أنه لا يعرف حقيقتها ،وأن معلوماته عنها لا تتجاوز كونها مجلة ثقافية ، وكتب لها بهذه الكيفية، وعلى الفور رد المكافأة التي تقاضاها نظير المقال ،كما رفض الجائزة التي رشحته المجلة لها» .

يوسف إدريس

ماذا قال خالد جمال عبد الناصر عن محفوظ وإدريس؟

عن يوسف إدريس قال:بعد وفاة الوالد أصدر مجلس الشعب قرارا ببقاء المنزل الذي كنا نقيم فيه في منشية البكري ،وكابينة المعمورة بالإسكندرية للأسرة مدى الحياة ،ونحن من جانبنا أبناء جمال عبد الناصر تعاملنا مع هذا القرار على أنه تكريم للوالدة أكثر من أي شيء آخر،علي أساس أن كل واحد من الأبناء سيشق طريقه،

ويكون له في النهاية مسكنه الخاص .

يضيف خالد:من أهم الأشياء التي أثرت فينا كأسرة ،وأثلجت صدورنا ، وأحيي فيها مصر شعبا وحكومة،أن أحدا لم يترك أمي بعد رحيل الوالد في حاجة إلى شيء، كانت أمي من طراز السيدات اللاتي تعيشن على القليل،وكانت في حالة رضا كامل بذلك،و بيتها هو أحب ما عندها،كانت تقول دائما عن منزل منشية البكري: «ده بيتي » رغم أنه بيت الحكومة،لكن تعبيرها هذا كان يحمل دلالة الارتباط بالبيت الذي عاشت فيه مع الوالد منذ أن كان ضابطا في الجيش ، وشاهدت فيه كل شيء ،الزواج،الأمومة، السياسة ،النضال،رؤساء دول العالم وزوجاتهم،كل شيء،كان تاريخا بالنسبة لها مليء بالأفراح ،والأحزان ،والذكريات.

يواصل خالد:أذكر أن شقيقتي مني كانت تلح عليها للذهاب إلى لندن حيث تقيم مع زوجها دكتور أشرف مروان، لكنها كانت ترفض وبإصرار غريب، ونجحت مرة واحدة في إقناعها بالذهاب معها إلى أسبانيا ،وبعد أربعة أيام فقط بكت وأصرت على العودة،كانت تقول أن الشعب كرمني ولم يتركني لأحد .

وكشف خالد عن أن معاشها الشهري كان ٥٠٠ جنيه،بالإضافة إلى أنه وطبقا للقانون الذي صدر من مجلس الشعب،كان لها مخصصات أخرى من رئاسة الجمهورية ليصل إجمالي المبلغ التي كانت تتقاضاه شهريا ٩٥٠ جنيها ، وكان المبلغ كافيا بالنسبة لها،بالإضافة إلى بيت منشية البكري وكابينة المعمورة،ولا يجعلها في احتياج لأحد.

ما علاقة يوسف إدريس بكل ذلك؟

يجيب دكتور خالد عبد الناصر:خرج يوسف إدريس فجأة وبلا مقدمات بمقال في صحيفة الأهرام يقول فيه : إن أسرة جمال عبد الناصر تعيش في المعمورة في مساحة ٥٠٠فدان، ويقدر ثمن متر الأرض فيها ٢٠٠٠ جنيه ،ولوتم بيع هذه

الأرض سيصل سعرها إلى مائة مليار جنيه ،يمكن سداد ديون مصر بها !،(كان ذلك متزامنا مع حملة شعبية لجمع التبرعات من أجل ديون مصر).

يواصل خالد :أخطأ يوسف إدريس في هذه المسألة مرتين .الأولي أن المساحة الحقيقية هي خمسة أفدنة ،وليست ٥٠٠ فدان،وأخطأ في حساباته حين توصل إلى أن ثمنها مائة مليار جنيه،كانت الحسبة أقرب إلى الكوميديا،وكان الأفضل والأكرم له أن يقول «بلاش تقضي هذه السيدة المصيف »،وكان رد فعلها على الفور:«يا جماعة إذا كانت الأرض دي تسدد ديون مصر يأخذوها»....وأرسلت خطابا إلى صحيفة الأهرام ردا على ذلك تعلن فيه تنازلها عن الكابينة بالأرض التبعة لها،وقالت في الخطاب : إنها لا تريد شيئا من الدنيا وعاشت حياتها مع جمال عبد الناصر الذي أخلص لمصر،وأضافت :«انتظر اليوم الذي أقابل فيه ربي ،وأدفن فيه إلى جوار جمال عبد الناصر ».

حكى خالد هذه القصة بتأثر بالغ وحزن بدا على وجهه إلى درجة أنه قال لي : «قلبت على المواجع،ليه تقلب على المواجع ،حزنت أمي ليس على الأرض والكابينة،فأسرة عبد الناصر تركت البيت للحكومة ،وإنما تألمت لأن هناك من ظن أنها تطمع في شيء، عادت الكابينة ولم تسدد ديون مصر،وكل هذا الموقف المؤلم لم يجعلني أسامح يوسف إدريس».

انتقل حواري مع الدكتور خالد إلى رأيه في الآراء السلبية التي ذكرها نجيب محفوظ في مذكراته ضد جمال عبد الناصر، وهنا جاءت المفارقة فبرغم قسوتها إلا أن خالد تعامل معها بطريقة مختلفة عن تلك التي تعامل بها مع يوسف إدريس ، قال خالد :

«أنا تعاملت مع ما قاله نجيب محفوظ بالطريقة التي تعاملت معها أمي مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ،كانت هي تحب الاستماع لأحاديثه في

التليفزيون بعد صلاة كل جمعة،وحريصة كل الحرص على ذلك ،سألتها مرة عن سبب هذا الحرص رغم أن الشيخ هاجم أكثر من مرة جمال عبد الناصر، ووصل في هجومه إلى حد قوله صراحة أنه صلي ركعتين شكر حين وقعت نكسة ٥ يونية ١٩٦٧، فلم تعطيني إجابة وظلت على عادتها،وتركتني في حيرة،حتى توصلت إلى تفسير لذلك ثبت لي صحته فيما بعد وهو ، أنها فصلت بين كون الشعراوي شيخا جليلا في مسائل الدين وتفسير القرآن،وبين رأيه السياسي ،في الأولى يحبه الناس ، وفي الثانية يختلفون معه، وهناك فرق شاسع بين الاثنين،وطبقا لهذا أقول حين يكتب نجيب محفوظ في الأدب ،له كل التعظيم ،أما حين يتحدث في السياسة بالشكل الذي تحدث به في مذكراته،نقول له نحن نختلف معك يا أستاذ نجيب ،وأنا كابن لجمال عبد الناصر أقول له : إن كل ما قلته في حق الوالد أنا أغفره لك ،وأعتقد أن الكل تعامل معه على هذا النحو».

وبحكم خبرتي بالدكتور خالد ومعرفتي به، هو يفرق بين جمال عبد الناصر كزعيم سياسي ثائر ، وجمال عبد الناصر كأبًا عطوفًا حنونًا، وعانى كثيرًا حتى وصل إلى هذه الدرجة، في الأولى هو ملك للتاريخ والشعب ،أما الثانية فهو ملك لعائلته، على هذه القاعدة تعامل خالد وأشقائه مع حملات الهجوم ضد الوالد ،في السياسة فليدافع الآخرون ، أما في غيرها فهم يتصدون ، خاصة في تلك المتعلقة بالسمعة والنزاهة التي تميز بها الرجل، وهذا ما حدث مع الدكتور يوسف إدريس.

على هذا النحو كان مفاجئا لي أن يقول خالد:«أنا كابن لجمال عبد الناصر أقول للأستاذ نجيب محفوظ : إن كل ما قلته في حق الوالد أنا أغفره لك»،المفاجأة أن التسامح هنا امتد إلى كل شيء ،ومع من ؟ مع من قال : «أن كل ما فعله جمال عبدالناصر خطأ».

لماذا؟..سؤالي كان للدكتور خالد ،والإجابة كانت:

«نجيب محفوظ أديب كبير،أنا لا أتعامل معه أو مع آرائه بوصفه حاصلا على جائزة نوبل للآداب، وإنما أنا ورثت حب أدبه من الوالد الذي كان يحب أدبه كثيرا،وكان دائم القراءة لإنتاجه الروائي الجديد،بالإضافة إلى مشاهدة الأفلام السينمائية لرواياته، ولن أتحدث عن تدخله المباشر في بعض الأحيان لصالح هذه الأعمال الروائية أو السينمائية لأن آخرين تحدثوا فيها».

يضيف خالد :«أؤكد أننا كأبناء جمال عبد الناصر،تعلمنا في منزلنا من الوالد حب نجيب محفوظ،وحين نجا من محاولة اغتياله الآثمة وتم نقله إلى المستشفي كنت من أوائل الناس الذين توجهوا إليه للاطمئنان على سلامته، لم أنس مشهده حين أبلغه الطبيب بقدومي ،هب بصوته:ابن الزعيم..ابن الزعيم،كان فرحا بزيارتي إليه ،وكنت فرحا بنجاته فهو قيمة لمصر لا تعوض،مرة أخري أقول : إن آراءه السياسية هي كلام في غير اختصاصه».

كانت محاولة اغتيال نجيب محفوظ مساء يوم الجمعة ١٤ أكتوبر١٩٩٤ ، واهتزت مصر والعالم كله من هذه الحادثة الآثمة الفاشلة ، والتي حاولت فيها عناصر متطرفة من الجماعة الإسلامية قتل محفوظ بسكين في رقبته ، والمثير أن من أقدموا علي هذه الجريمة البشعة ، قالوا في التحقيقات أنهم لم يقرأوا رواية « أولاد حارتنا » لنجيب محفوظ ، وهي الرواية التي قيل أن محاولة الاغتيال تمت بسببها.

بعد نشر حواري مع الدكتور خالد.فوجئت باتصال تليفوني من الكاتب والأديب جمال الغيطاني يخبرني فيه بأن الأستاذ نجيب يريد إبلاغ خالد شكره على ما قاله في حقه،وقال لي : إن يوسف القعيد قرأ له ما جاء في حواري معه وتأثر جدا برأي خالد فيه خاصة المقطع الذي يقول فيه:«أنا كا ابن لجمال عبد الناصر أقول للأستاذ نجيب :كل ما قلته في حق الوالد أنا أغفره لك».

سألت يوسف القعيد عما جرى فأجابني:«فور أن علم الأستاذ نجيب أن

الدكتور خالد تكلم عنه،كان مشتاقا كثيرا إلى معرفة طبيعة هذا الكلام،متوقعًا أن يكون عبارة عن مذبحة ،لكنه فوجئ بنبل ما قاله النجل الأكبر لجمال عبد الناصر».

القعيد أضاف:نجيب محفوظ وفدي الهوى ، وهذا معروف عنه بحكم تكوينه قبل ثورة يوليو١٩٥٢،لكنه حقق نفسه في مشروع عبد الناصر وليس فترة السادات، ثم جاءت إليه جائزة نوبل في فترة مبارك،والجائزة نالها من أيديولوجية تعادي فكر الغرب،هو له بعض الاختلافات مع المرحلة الناصرية ،لكنه ليس ضدها بالشكل الجازم .

القعيد يواصل:نجيب محفوظ حدثني أكثر من مرة في جلساتي معه:«عمري يا يوسف في أدبي اللي كتبته في الخمسينات والستينات ما طالبت ببديل لعبد الناصر، أقول له خليك لكن حقق كل اللي كان بينادي به الوفد» .

أبلغت خالد رسالة نجيب محفوظ التي حملني أمانتها جمال الغيطاني ،وما ذكره بالضبط يوسف القعيد، كان وقعها طيبا عليه ،وأعاد تأكيده على نفس ما ذهب إليه: «الأستاذ قيمة كبيرة»،لكنه زاد :«أنا مستعد أن أزوره في أي مكان».

التقطت الخيط:«فكرة عظيمة يا دكتور خالد فلتسمح لي أن أسعى إلى تنفيذها».

رد:« توكل على الله ،أنتظر الموعد الذي يحدده الأستاذ وأنا تحت أمره».

خالد يحدثني مرة أخري:«لي شرط واحد في هذه المقابلة».

أرد:ما هو؟.

خالد:أنا لأريد أن يتم اللقاء تحت أي مسمي سياسي،حتي لا يتهمنا البعض بالسعي إلى تأويله وتوظيفه،الأستاذ نجيب يقول كما يحب ،واللقاء معه تعبير عن المحبة الخالصة ،والتقدير الكريم لشخصه،أريد أن يكون الكل على تلقائيته الإنسانية،وأنا تحت أمر الأستاذ نجيب

تحدثت تليفونيا مع الأستاذين جمال الغيطاني ويوسف القعيد،فرحبا على الفور

مؤكدين أنها رغبة الأستاذ نجيب أيضا

صيف القاهرة كان حارا ،وأنا والصديق أمين اسكندر الباحث والقيادي الناصري المعروف كنا في صحبة الدكتور خالد إلى مركب «ليلة»، وكان في الانتظار عدد ممن يحرصون على حضور جلسة نجيب محفوظ الأسبوعية في نفس المكان ، ومنهم الكاتب الروائي جمال الغيطاني ، والإعلامية المعروفة فريدة الشوباشي ، وزوجها الكاتب على الشوباشي،والشاعر السيناريست هشام السلاموني ، والأديب نعيم صبري،وذكي سالم سكرتير نجيب محفوظ،وحضر فيما بعد الكاتب الروائي يوسف القعيد الذي ترك منذ البداية اعتذ را عن التأخير لأسباب قهرية.

الكل يلتف حول الأستاذ،فنجان القهوة «السادة» أمامه، والسيجارة «الكنت» في يده ، ومن يراه وهو يتنفسها سيتأكد كم كان الرجل يأخذ الدخان في فمه ثم يخرجه باستمتاع بالغ، رغم سنواته التي كانت تقترب من نهاية الثمانينات.

دخل خالد فأخبره الغيطاني الجالس بجواره بصوت عالي : « الدكتور خالد وصل يا أستاذ» ، فقام الأستاذ يقاوم شيخوخة الجسد متجها نحو ضيفه والضحكة تكاد تزغرد من وجهه،تعانق الاثنان بحرارة،يقبله خالد من وجهه،وعلي رأسه قائلا:

«شرفني يا أستاذ هذا اللقاء،كلي سعادة أن اطمئن عليك وأشوفك ،وتأكد أن كلنا بنحبك».

يستجمع الأستاذ قوة الصوت قائلا :«أهلا ، أهلا ، انت اللي شرفتني قوي يا غالي يا بن الغالي ،أي والله».

جلس خالد بجواره، وخيم الصمت للحظات،وتأملت العيون وجه نجيب محفوظ المبتسم ،وخالد المترقب ،الذي يوزع ابتسامات ترحيب للحاضرين ، ويلقي نظرة إلى النيل عبر نافذة المركب.

خالد لو صادفك ورأيته وقتئذ، (٥٠ عاما) ،كان سيعطيك هيئة شخصية تقترب من شكل والده ،هيئة قد تصل حد التطابق في الطول الفارع ،والأنف المميزة ،وتقسيم الوجه، فإن رأيت نصفه من إحدى اتجاهين ،يمينا أو يسارا، تشعر أنك تشاهد جمال عبد الناصر،ويقفز إليك سؤال :«لماذا هو بالتحديد الذي أن رأيته من كل أبناء عبد الناصر،تشعر بهيبة الحضور وعاطفة الوجدان ، إن كنت تحب، أو حتى تكره والده ؟ ».هل لأن بعض الأغاني الوطنية التي اشتهرت في فترة الخمسينات والستينات من القرن الماضي،حملت اسم ،«يا بو خالد»،«هل لأن العرق دساس»،و« هل ابن الوز عوام»،و«هل «هذا الشبل من ذاك الأسد»؟،هل كل تلك الأسئلة تحمل ظلا من الحقيقة ؟

خالد الأستاذ في كلية الهندسة جامعة القاهرة والحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج البريطانية، سعي لأن يكون مشروعا سياسيا لكنه توقف،خطب أكثر من مرة في ذكري رحيل جمال عبد الناصر،في نقابة المحامين عام١٩٨٤ تحدث ما يقرب من ساعة أمام أكثر من ١٥ ألف ،وبعدها بعام خطب أمام ما يقرب من عشرة آلاف، في احتفال نظمته منظمة التضامن الأفرو آسيوي ،وخرج في مظاهرة مع المئات من القوي السياسية ورموزها من أمام جامعة القاهرة احتجاجا على ضرب مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس ، وكان من ضمن ضحاياها أبو إياد الرجل الثاني في المنظمة ،و خرج في مظاهرة أخرى احتجاجا على محاكمة الجندي سليمان خاطر الذي قتل عدد من الجنود الإسرائيليين أثناء نوبتجية حراسته على الحدود في سيناء، حين شاهدهم يدنسون علم مصر،وفي عام ١٩٨٧ كان المتهم الثاني في قضية تنظيم ثورة مصر المسلح الذي تزعمه الراحل محمود نور الدين، واستهدف عناصر من الموساد الإسرائيلي الذي كان يتواجد في مصر تحت غطاء دبلوماسي ، تحت غطاء دبلوماسي ، وفي عملية رابعة للتنظيم في ٢٦ مايو ١٩٨٧

استهدفت ثلاثة عاملين في السفارة الأمريكية ،تصادف يوم تنفيذها وكان في الثامن والعشرين من رمضان ، أن خالد كان ضيفا علي الإفطار في قريتي « كوم الآطرون – طوخ قليوبية » ، تلبية لدعوة وجهتها له ،واختار هذا اليوم بالتحديد دون أخري اقترحناها عليه ، واصطحبته يومها أنا والصديق أمين اسكندر من القاهرة إلى قريتنا .

في الطريق إلى القرية الذي استغرق نحو ساعة لم يتوقف خالد عن طرح الأسئلة حول العملية ورأينا فيها ، وظل ينتقل بين محطات الراديو العالمية والمحلية في السيارة لمعرفة ردود الفعل ، وعلي مدي ساعتين ونصف قضاهم بيننا ، ظل يتابع نشرات الأخبار عبر الراديو ليقف عند ما تذكره عن العملية ، وصمم خالد على الانصراف فجأة ، بالرغم من أنه في الأصل كان سيقضي السهرة في القرية حتى السحور للقاء وفود شعبية كانت قادمة من قري مجاورة .

صمم خالد علي الانصراف متعللا بأن هناك ظرف طارئ ، يتمثل في أن أحد تلاميذه في كلية الهندسة جامعة القاهرة ، سيناقش رسالة ماجستير وعليه أن يكون إلى جواره ، ودارت الأيام ، وبعد شهور تم الكشف عن التنظيم ، وإعلان اسم خالد كمتهم ثاني فيه ،والقول بأنه هو قائده السياسي ، أما قائده العسكري فهو محمود نور الدين ، والذي عمل في مكتب المخابرات العامة بالسفارة المصرية في لندن ، وتخصص في متابعة النشاط الصهيوني في بريطانيا ، وقدم نور الدين خدمات هامة لمصر من خلال موقعه الوظيفي خاصة في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، لكنه استقال من عمله احتجاجا علي زيارة السادات إلى القدس عام ١٩٧٧ ، وأسس بالاشتراك مع الكاتب الساخر الراحل محمود السعدني مجلة في لندن باسم ٢٣ يوليو مناهضة لسياسة السادات ، ولم تستمر طويلا .

فور أن تم الكشف عن « ثورة مصر » وإعلان اسم خالد كمتهم ثاني فيه ، استرجعت يوم إفطاره في قريتنا ، وفهمت أن اختيار خالد لهذا اليوم كان مقصودا

منه ، وأن إصراره علي ألا يواصل السهرة الليلية معنا والعودة إلى القاهرة ربما كان من أجل مقابلة محمود نور الدين ،كما تبين بعد الكشف عن التنظيم ، أن الأجهزة الأمنية التي عرفت بزيارة خالد إلى قريتنا وأرسلت مخبريها السريين لمتابعته ، لم تجتهد في ربط هذه الزيارة بعملية استهداف المسئول الأمريكي ، ولو فعلت ذلك كنت سأتعرض وزملائي للاعتقال.

المهم وقبل الكشف عن التنظيم، طار خالد إلى يوغسلافيا قبل تفككها ، وبقي في بلجراد في رحلة منفى اختياري ،استمرت ما يقرب من ثلاث سنوات، قرأ فيها مؤلفات في تاريخ مصر،وشعر أمل دنقل وحفظ قصيدته الخالدة «لا تصالح»،و قرأ روايات أكثرها لنجيب محفوظ ،وهناك سافر إليه عشرات من الشخصيات السياسية المصرية والعربية،وهاتفه بعض الزعماء العرب، ودعاه ياسر عرفات (الرئيس الفلسطيني الراحل) إلى حضور مؤتمر منظمة التحرير الفلسطينية في الجزائر عام ١٩٨٨ الذي أعلن فيه عرفات دولة فلسطين المستقلة ، وقيل وقتها إن زعماء عرب تحدثوا مع القيادة السياسية في مصر بشأنه ،ولما عاد خضع لمحاكمة حصل منها على البراءة ،استنادا على ما ذكره محمود نور الدين أمام المحكمة وفي التحقيقات بأن خالد ليس له علاقة بالتنظيم.

أحدثت القضية بكل ما حملته، وما سبقها من ممارسات تراكم في النظر إلى خالد بأنه لا يتواجد في الساحة بوصفه ابن جمال عبد الناصر وفقط ،وانما هو يحاول نحت تجربة سياسية خاصة به .

ابتعد خالد بعد حكم البراءة عن العمل السياسي لفترة،كان يعود بين الحين والآخر إليه في ممارسات بسيطة خاصة بعد ظهور الحزب الناصري عام ١٩٩٣، رغم عدم انضمامه إلى عضويته ، ومع ضعف الحزب وتمزقه شعر بخسارة فادحة ، فالحزب في حالة قوته كان يمكن أن يوفر غطاء شرعيا لطموحه، فكر في خوض

انتخابات مجلس الشعب،وعدل لأنه اكتشف أن دور البرلماني لا يتناسب معه،وتدريجيا خفت حضوره السياسي،إلا أنه بقي على عهده في التكوين الفكري والخط السياسي الذي وضع أسسه جمال عبد الناصر ،وأبرز خطوطه العريضة «أن الصراع مع إسرائيل صراع وجود وليس صراع حدود » ،وأن أمن مصر يبقي في التمسك بقوميتها العربية،وأن العدالة الاجتماعية هي رسالة أي نظام حاكم في مصر،والسبب بسيط وهو أن الغالبية العظمى من الشعب المصري فقراء.

وقائع الجلسة

بهذه الخلفية وتلك الخلطة ذهب خالد إلى نجيب محفوظ، والكثير مما سبق ذكره كان ماثلا في أذهان الذين استقبلوه ،رغم أن كيمياء الجلوس معه يتغلب فيها شطر معادلة أنه ابن جمال عبد الناصر،وهذا الشطر هو الذي قاد حديث الجميع في الجلسة التي دارت على النحو التالي :

خالد:يا أستاذ نجيب..شرف كبير قوي أن أقابل حضرتك ،وأشوفك وأطمئن عليك.

نجيب محفوظ:انت اللي شرفتني قوي ..أي والله.

خالد:انت أستاذنا ،وانت روائي عظيم ،وأعمالك كلها في قلبي وقلوب كل الشعب المصري والعربي،وبالمناسبة جمال العيطاني من جيلي واعتبره أخي وأستاذي.

جمال الغيطاني :هذه لحظة مهمة مملوءة بالأحاسيس الفياضة والمشاعر الجميلة لأنها تجمع أستاذنا العظيم نجيب محفوظ ،والدكتور خالد الذي نحبه ونقدره كما نحب ونقر والده العظيم جمال عبد الناصر

خالد :انت معزتك كبيرة عندنا يا أستاذ نجيب والمؤكد أننا نحبك.

نجيب محفوظ :انا اللي شجعني يا خالد انك قلت أنا غفرت له ..(مشيرا إلى ما قاله خالد في حواره لي :«باعتباري ابن لجمال عبد الناصر أغفر لأستاذنا الكبير كل

ما قاله في حق الوالد»).

ضحك الجميع على لقطة نجيب محفوظ ، ثم قال خالد :انت تقول يا أستاذ نا ويا عمنا الكبير زي ما انت عايز تقول.

نجيب محفوظ :والله القلوب عند بعضها يا خالد يا غالي يا بن الغالي.

خالد:علي فكرة ابنتي تحية «كبري بناته» أنهت رسالة الماجستير في الأدب المقارن بالجامعة الأمريكية عن أديب أمريكا الجنوبية ماركيز،وتمنت أن تحضر معي هذا اللقاء ،وان شاء الله تحضر مرة ثانية.

نجيب محفوظ:ما شاء الله ..ما شاء الله..أدب أمريكا الجنوبية عظيم ،وأدب ماركيز عظيم، وبعد حصوله على نوبل نقل أدب أمريكا الجنوبية إلى العالم،وابنتك اختارت صح هو يستحق رسائل كثيرة وأهلا بها في أي وقت.

يلتقط جمال الغيطاني خيط الحوار الذي كان في مرحلة ترحاب ومجاملات قائلا:

تزاملت مع دكتور خالد في منظمة التضامن الآفرو آسيوي في مرحلة السبعينات.

خالد:نعم يا جمال كانت أيام هامة وفيها تواصل جيد ، لكن أنا حريص طبعا على متابعة كل أخبارك ،وبالمناسبة يا جمال إنت كنت وقت زمالتنا في منظمة التضامن ،كنت تكتب أجزاء رواية «التجليات»،فاكر يا جمال كنت بتكتبها وقتها جزء جزء،وأنا كنت أنتظر كل جزء بفارغ الصبر لقراءته،هو عمل روائي عظيم ، وفيه جهد منك جبار في الحبكة الروائية والحدوتة نفسها وفي استخدامك للتراث،وعلي فكرة يا جمال،تعرف أن أحلي قصة قرأتها لك هي «أتحاف الزمان»..الله ..الله ..يا جمال عمل أدبي عظيم.

نجيب محفوظ:ما شاء الله يا خالد..أنت بتعز جمال قوي زي ما هو بيعزك ،وكمان أنت قارئ ممتاز لأعماله .

خالد:طبعا يا أستاذ، بس أنت الأصل، وأنت أعمالك في القمة ،وهي علمتني حب الأدب وقراءة الروايات،وعرفت منها قيمة الكلمة العظيمة،وإذا كان هناك فضل لحبي لقراءة أعمال جمال الغيطاني ،فالفضل يعود لك أنت.

جمال الغيطاني:علي فكرة،قصة «اتحاف الزمان»،هي نواة رواية «الزيني بركات» التي كتبتها فيما بعد، وعلى فكرة « الزيني بركات» أخذت جهدًا كبيرًا في كتابتها

خالد: تعرف يا جمال أن « الزيني بركات » رغم أنها بتتناول فترة تاريخية معينة هي نهاية المماليك والانتقال للعثمانيين ، لكن تشعر أنها رواية كل زمان ومكان .

أثار هذا الرأي انتباه نجيب محفوظ . فعلق :« الله ..الله ..يا خالد أنت بتقول حاجة مهمة في الرواية ، ومعك حق في أن من يقرأها يشعر أنها رو ية كل زمان ومكان ».

كانت الإعلامية فريدة الشوباشي تتابع المناقشات باهتمام حتى قالت :التجليات تشتمل على وجدان هائل،وشجن كبير ،فيها المزج بين الوالد..(والد جمال الغيطاني)،والحسين بن على ،وجمال عبد الناصر،أنا قرأت أدب جمال الغيطاني كله وأحببته،لكن التجليات وحدها هزتني و بكتني.

جمال الغيطاني: يا تري يا دكتور خالد..هل ذهبت إلى منطقتي نجيب محفوظ.. الجمالية،والحسين.

خالد:لا..لا..لم أذهب إليهما كثيرا ،أو بمعني أدق لم أذهب لمشاهدتهما بتأمل كمناطق قديمة،وبالمناسبة كلما يصيبني بالضيق أذهب إلى منطقة الحسين ،أشوف الناس وهي تضحك ومبسوطة وبترمي الدنيا ورا ضهرها،وتعيش عيشة البساطة ، اللي ماشي مبسوط ،واللي قاعد مبسوط، اللي نايم مبسوط ، واللي بياكل مبسوط ، الكل في حاله وفي ملكوته ، ورامي حموله ورا ضهره .. في الحسين أشعر أني عايش وشايف الناس بجد.

جمال الغيطاني:كل المعاني التي تذكرها يا دكتور خالد موجودة في روايات وحكايات الأستاذ نجيب.

خالد:صحيح هي موجودة في أدب الأستاذ،والمدهش أنك حين تقرأ رواياته تشعر كأنك تعيش في هذه المنطقة.

يدخل الأستاذ يوسف القعيد وبعد سلام وعناق مع الدكتور خالد،يترك خالد له مكانه بجوار نجيب محفوظ،ويقول خالد:

تأذن لي يا أستاذ نجيب،بالانتقال من مكاني وأؤكد لك من تاني ،أنا فرحان بوجودي بجوارك،واحنا أولادك ،وتحياتي للمدام هي زارت أخي عبد الحميد في المستشفي .

نجيب محفوظ:والله يا خالد يا ابني أنا فرحان..ولولا أني خجلان كنت أبقي فرحان ،فرحان قوي ..قوي.. قوي.

*يجلس يوسف القعيد بجوار نجيب محفوظ ،وتسود حالة من الحوارات الجانبية بين الحاضرين.. تحدثت فريدة الشوباشي مع دكتور خالد :«علي فكرة يا دكتور خالد قضية ثورة مصر اللي كنت متهما فيها كانت من أسباب فصلي من إذاعة مونت كارلو فيما بعد بسنوات ،بعد أن قمت بتغطية وقائع القضية ،ومتابعة المحاكمة إذاعيا بوضوح، هم قاموا بتخزين هذه المسألة حتى قرروا الاستغناء عني وقالوا في أسباب الاستغناء :«اني ناصرية ومعادية لإسرائيل»،وعلي فكرة كلامك في الحوار مع سعيد لابد أن يتطور إلى كتاب لأن فيه أشياء جديدة عن جمال عبد الناصر أول مرة نعرفها.

يلتقط نجيب محفوظ الكلام مؤكدا مطلب فريدة الشوباشي ،ويقول :يا خالد الفكرة دي ممتازة وتستحق الاهتمام والتنفيذ،فيرد خالد بأن أبناءه قالوا له نفس الرأي ،ويعلق نجيب:«مهم يا خالد تقول الحقيقة ،وكل الكلام اللي عندك».

جمال الغيطاني :علي فكرة يا دكتور لما قرأنا الحوار للأستاذ نجيب قال لنا أشياء أول مرة نعرفها منها أنه كان في العباسية وجار لوالدتك السيدة الفاضلة تحية كاظم،وكان صديقا مباشرا لأخيها مصطفى كاظم ،وكان يسمع عن أن لها أختا لكن لم يشاهد السيدة تحية أبدا.

نجيب محفوظ:آه ..هو كان من شلة العباسية وهي كانت أول شلة في حياتي،وكنا نتقابل في مقهي عرابي في العباسية،وهذه الشلة لم تتكون لأسباب أدبية ،يعني كانت للتسلية والمرح،وتفرقت كلها ،وأغلبها متي من العباسية ،وكان منهم مصطفي كاظم.

د.خالد:الوالدة كانت تعيش عند شقيقها خالي عبد الحميد كاظم الله يرحمه .

جمال الغيطاني :انت يا أستاذ كتبت عن أحد أفراد هذه الشلة؟

نجيب محفوظ:كان فيها واحد اسمه نجيب الشويخي،هو لم يكمل تعيمه ،وكان شرير يستطيع عمل أي شئ،ويحصل على أي عمل بسبب شره ،لو طلب منه رئيسه في العمل أن يأتي له بالنساء العاهرات يلبي الطلب فورا،وهذه الشخصية كتبتها في رواية«المرايا».

يلتفت خالد إلى نجيب محفوظ قائلا:يا أستاذ نجيب أتمني أن أحصل منك على الثلاثية «بين القصرين ،السكرية ،قصر الشوق »وعليها إهداء بخط إيدك.

نجيب محفوظ:عيني ،عيني ،يا سلام،اعتبر الثلاثية موجودة عندك وعليها الإهداء.

كانت سيرة جمال عبد الناصر تفرض نفسها على الجلسة، رغم حرص خالد من البداية على أن تكون إنسانية وحميمية،وليست سياسية،فقال هشام السلاموني:

دكتور خالد ابن جيلي وهو كان زميل في جامعة القاهرة يدرس الهندسة، والحقيقة أنه اشترك معنا في المظاهرات التي خرجت من الجامعة احتجاجا على

الأحكام الصادرة ضد قادة الطيران الذين تسببوا في نكسة يونية ١٩٦٧ .

فريدة الشوباشي:المخابرات الأمريكية والبريطانية والموساد كانوا يتكلمون عن الحراسة على جمال عبد الناصر،وأنها هي التي كانت تحميه ،وتأكدت من كذب هذا الكلام بل وتفاهته في جنازة الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة بعد استشهاده على الجبهة يوم ٩ مارس١٩٦٨ ،كنت واحدة من مئات الآلاف خرجوا بعفوية في ميدان التحرير وشوارع القاهرة نشارك في الجنازة، أنا كنت في ميدان التحرير عند مسجد عمر مكرم ،شاهدت عبد الناصر في مقدمة الجماهير الحاشدة،وفي لحظة وجدته يذوب في وسط الناس ،الكل يتدافع إليه ويقترب منه ليقول له «البقية في حياتك يا ريس،ولا يهمك يا ريس »،وكان أكثر شئ هز أعماقي أنني رأيته يهتف معنا كل هتاف نردده:«التار ..التار..التار».

كادت الدموع تفر من فريدة الشوباشي التي كانت تحكي بتوحد عن جنازة عبدالمنعم رياض ومشاهدتها لجمال عبد الناصر فيها حتى وصلت إلى قولها:«ما فيش حراسة كانت حول الرئيس كلهم ذابوا وسط الناس ..الناس هي التي تحولت إلى حرس لزعيمهم».

جمال الغيطاني : فريدة تحكي عن لحظة مؤثرة في تاريخنا المعاصر ،عبد المنعم رياض أحد أهم رموز العسكرية المصرية والعربية،والجنازة كانت شيئا خرافيا ، شعب كان ينتفض غضبا ويطالب بالثأر، هي كانت لحظة توحد بين عبد الناصر والشعب،وحكاية الحراسة، عمرها ما زادت على ثلاثة أفراد،أنا كنت أشاهده مباشرة في الشارع ،وهو يأتي إلى مسجد الحسين ،حراسة بسيطة ،موتوسيكلين مثلا أو ثلاثة.

كان خالد عبد الناصر يسمع كلام فريدة والغيطاني باهتمام ،حتى دخلت بسؤال إليه :هل كنت تمارس حريتك الطبيعية وأنت ابن رئيس جمهورية بحجم وقيمة جمال

عبد الناصر؟

أجاب :إلى حد ما وأنا طول عمري كنت أحب أن أكون مواطنا عديا،والوالد كان يمارس دور الأبوة ،يعني مثلا لو تأخرت خارج المنزل ليلا يسألني أين كنت،ويتابع كلما أمكن دراستي ،هو كان حريص على ألا نعامل أحدًا بوصفنا أبناء جمال عبد الناصر ، هذه المنطقة كانت محرمة عنده ليس فيها فصال.

حديث خالد أعاد الجلسة إلى الجماعية بعد أن ظلت لدقائق ثنائية وثلاثية،ومما لفت الانتباه حرص الأستاذ نجيب عى أن يسأل يوسف القعيد عن آخر الأخبار ، كان القعيد تحديدا ، هو مصدره الإخباري الأول في جلسته الأسبوعية،في الأدب والسياسة وكل شئ ، ومن خلال عمله الصحفي وعلاقاته الممتدة ،يحكي للأستاذ ما يتوفر عما وراء الخبر،يقرأ له ما يحمله من صحف تحتوي على القضايا التي يحب الأستاذ الإطلاع عليها، كان القعيد يفعل ذلك بمحبة التلميذ لأستاذه،كما أن العشرة والمودة جعلت منه واحد ممن يفهمون شفرات الأستاذ خاصة في مثل سنه المتقدم .

مارس القعيد دوره في هذا اليوم بإطلاع الأستاذ على بعض الأخبار المحلية التي وقعت، والعالمية التي بثتها وكالات الأنباء العالمية .. قال القعيد :

-«كرواتيا يا أستاذ قررت ترجمة رواية من تأليفك لكنها لم تستقر حتى الآن على اسم الرواية ،المهم أنهم قرروا الترجمة».

يقاطعه نجيب محفوظ :هم يا يوسف ،قالوا سبب اختياري للترجمة.

يوسف:ذكروا انك اكبر أديب عربي ومن كبار أدباء العالم وحامل نوبل.

يواصل القعيد إطلاع الأستاذ على باقي الأخبار التي بحوزته:

-«حزب العمل المعارض برئاسة المهندس إبراهيم شكري،قرر فريق منه فصل فريق آخر،والفريق المفصول قرر فصل الفريق الذي فصله،وإبراهيم شكري رئيس

الفريقين»

نجيب محفوظ:مين يا يوسف اللي عمل كده .

يوسف:جناح في الحزب يا أستاذ.

نجيب محفوظ:فيهم حد تيار ديني

أكثر من صوت في الجلسة:كلهم يا أستاذ رغم أن الحزب اسمه «العمل الاشتراكي».

نجيب محفوظ يهز رأسه :معقول ،معقول.

يعاود يوسف القعيد إطلاع الأستاذ على باقي الأخبار التي بحوزته،فيحدثه عن انتخابات نقابة الصحفيين..فيسأله، عما إذا كان هناك انتخابات في نقابات أخري، فيجيبه القعيد بالنفي،ثم يقول له :

آخر خبر، وتعمدت تأجيله هو الجديد في مسألة الجائزة،يضيف يوسف :«أنت يا أستاذ مرشح عن جائزة جديدة في الأدب تحمل اسم الرئيس مبارك ،ومرشح معك الدكتور شوقي ضيف ،والدكتور عبد القادر القط» .

يستكمل يوسف القعيد خبر الجائزة بإبداء الرأي :«أنا رأيي يا أستاذ تعتذر عنها»،فيبادر الأستاذ بالسؤال:«ليه يا يوسف»؟.

يرد يوسف:بعد نوبل أي جائزة ليس لها قيمة،والمنافسون أقل منك في المستوي ، والمؤكد أنك ستكسبها.

نجيب:لا..لا.. ممكن يا يوسف واحد من المنافسين، وبعدين لا يصح أن أرفض جائزة تحمل اسم الرئيس مبارك ، الحقيقة أن الرئيس بيشجع المناخ الثقافي دائما بهذه الخطوات، ولما أرفضها يكون أنا أقلل من هذه الجهود،لا..لا..يا يوسف.

يوسف القعيد:علي فكرة ثروت أباظة مرشح للجائزة لكن هو قال :«مادام أستاذي نجيب مرشح للجائزة أنا أتنازل عنها».

تسود لحظة صمت يترقب خلالها الكل رد الأستاذ نجيب الذي قال :

علي فكرة صبري قرأ لي قائمة الترشيح وفيها فعلا اسم ثروت أباظة ،ويمكن يكون هو بالفعل اعتذر لكنه مازال مرشحًا ، وأنا أصلا اعتزلت الكتابة ، والسبب ده ممكن يعطي فرصة المكسب لثروت أباظة.

كان خالد عبد الناصر والمشاركون في الجلسة يتابعون حوار الأستاذ ويوسف القعيد ،ويأخذ ثروت أباظة حيزا من الكلام فيما يتعلق بهجومه الدائم على جمال عبد الناصر،تسأل فريدة الشوباشي الدكتور خالد عن رأيه في ذلك ،فيرد خالد باقتضاب:

«أنا لا أقرأ له».

ينتقل طرف الحديث إلى نجيب محفوظ:«الاعتذار فيه تجريح للجائزة ،وليس معني حصولي على نوبل أن أعتذر..لا ..لا .. وبعدين يا جماعة الجائزة مصرية ولها احترامها وتقديرها ،وأنا أشك في حصولي عليها وعندي أسبابي الخاصة ولن أتحدث عنها .

يلتفت يوسف القعيد إلى نجيب محفوظ ويقترب من أذنه قائلا:نحن سعداء بلقائك بابن جمال عبد الناصر ، الدكتور خالد ،وأنت يا أستاذ صحيح وفدي ،لكن بداخلك جزء ناصري لا تنكره .

نجيب محفوظ:آه طبعا ..ولا أنكر، وكل كلام خالد عني في منتهي النبل.

يوسف القعيد مداعبا الأستاذ:إيه رأيك نستغل وجود الدكتور خالد ونأتي لك استمارة عضوية في الحزب الناصري.

يسرع خالد بالتدخل قائلا:لا .لا.يا أستاذ أنا أصلا مش عضو في الحزب الناصري .

نجيب محفوظ مندهشا :معقولة يا خالد ، أنا أحسبك كتبت استمارة معاهم .

خالد:انت يا أستاذ نجيب ملك مصر كلها ولا يستطيع تيار سياسي واحد ادعاء انك تابع له ،أنت فوق كل الأحزاب،وفوق التيارات السياسية ،وأقوي بأعمالك الأدبية التي يخلدها التاريخ ،رواياتك هي الباقية ،أما الأحزاب فهي بقرار سياسي يمكن إلغائها ،ممكن أن يكون هذا القرار من الحكومة ،أو حتى من أعضاء الحزب نفسهم ،المهم أنه قابل للإلغاء أما أعمالك الأدبية فلا تستطيع أي حكومة أو أي قرار سياسي صادر من أي جهة أن يشطبها ،ويا أستاذ أنا أقول لك بكل صدق:«الأحزاب هي التي تسعي إليك وليس العكس».

كان خالد يذكر رأيه والحاضرون يستمعون اليه باهتمام ،ونجيب محفوظ ينصت ويهز رأسه حتى قال :الله ..الله ..يا خالد ..هو الأدب صح زي ما إنت بتقول هو الباقي ،وفيه ناس تانيه لهم أعمال أدبية تستحق كلامك

كان جمال الغيطاني يتابع أستاذه الكبير أولا بأول،ويلتفت إلى صديقه خالد مرحبا ،وحين أنهي خالد مداخلته السابقة أبدي جمال إعجابه الشديد بها قائلا:

الحقيقة أن الدكتور خالد قال كلاما هاما ويفتح الشهية لكلام آخر يمكن أن يقال،وبمناسبة هذا اللقاء أسأل الأستاذ نجيب:هل كنت عضوا في حزب الوفد قبل ثورة يوليو١٩٥٢ ؟

نجيب محفوظ:لا ..لا..لم أكن عضوا في حزب الوفد وأنا وعي تفتح على ثورة ١٩ ،كان عمري سبع سنوات فقط ،لكن كنت أشاهد المظاهرات ،والناس في جيلنا ، وعلي أيامنا كانت كلها وفدية ،لأنه كان بيقاوم الاحتلال ، تقدر تقول يا جمال أنا كنت من جماهير الوفد ،وطبعا من المعجبين بزعيمه سعد زغلول ومن بعده مصطفي النحاس،وكنت أعطي الوفد صوتي في أي انتخابات وبعدين يوليو ما كنتش جت ، وجمال أبو خالد مكنش جه .

انطلقت الضحكات على كلمة نجيب محفوظ « يوليو ماكنتش جت وجمال أبو

خالد مكنش جه ، ثم سأل الغيطاني:هل شاهدت يا أستاذ سعد زغلول؟

نجيب محفوظ:لا...لم أشاهده.

يوسف القعيد : أنت ذكرت يا أستاذ في المذكرات اللي خلت الدكتور خالد يشرفنا بالحضور النهاردة انك تقريبا رأيته

نجيب محفوظ : آه كانت الحكاية دي لما اختلف سعد مع الملك فؤاد (عام ١٩٢٤)،وكان سعد رئيس الحكومة ،وعرفنا أن فيه لقاء بينه وبين الملك لتقديم استقالته ،خرجت مع الناس إلى ميدان عابدين، وكنا بنهتف «سعد أو الثورة»،ولما الناس لمحت السيارة جريت عليها ، وأنا كنت أهتف ،ولم أشاهده من الزحام.

جمال الغيطاني:هل كنت يا أستاذ عضوا في الطليعة الوفدية؟

نجيب محفوظ:لا..أنا كنت متعاطف معها جدا ،وكان الدكتور محمد مندور صديقي(أبرز قيادتها) ،وكان معه عبد القادر جمعة، وكان صديقي أيضا ،وعلي فكرة ياجمال هما كانوا بينادوا بالمبادئ والأهداف اللي نفذها وطبقها جمال عبد الناصر .

أمين اسكندر:ما هي مبادئ الطليعة الوفدية يا أستاذ التي طبقها عبد الناصر؟

نجيب محفوظ:كانوا في الطليعة الوفدية بينادوا بالاشتراكية والعدالة ،وطبعا هو ده الكلام اللي طبقه عبد الناصر.

شباب رغم الشيخوخة

كان نجيب محفوظ يسرد بعضا من ذكرياته والكل يسمع إليه باستمتاع بالغ،وكان لدي كل من جمال الغيطاني ويوسف القعيد الشفرة الإنسانية نحو الأستاذ التي بمقدورها أن تدفعه إلى الحديث ،وكان هو من جانبه يبدو سعيدا بدفء مشاعر خالد عبد الناصر نحوه،كان يتحدث بيقظة رغم وطأة الشيخوخة التي زحفت على قوة السمع والبصر. لكنها لم تزحف إلى الذاكرة ،كان يكفي أي

أحد من الحاضرين أن يرمي رأس الموضوع أو السؤال إليه،فتكتشف على الفور أن الرجل حاضرا بذاكرته،ربما يقول كلاما مختصرا ،أو ربما يقول واقعة واحدة في قصة لها أكثر من واقعة،لكنه في كل الأحوال يقول ماهو مفيد للتاريخ حتى لو اختلفنا معه.

تناول الحاضرون مشروباتهم من الشاي والقهوة والمثلجات ،وأمام الأستاذ كان فنجان القهوة لا يزال موجودا رغم مرور وقتا ليس قصيرا عليه ،لم يتناول شيئا غيره ، لكنه أشعل سيجارة «كنت» أخري ،هو كما علمت من الغيطاني والقعيد لم يكن مدخنا شرها لكنه يدخن الـ« كنت » وفقا لعدد معين ربما لا يزيد عن ثلاثة أو أربعة في اليوم .

كان خالد يتأمل نجيب محفوظ ،ويستمع إلى ما يقوله منذ بداية اللقاء حتى محطة الحديث عن الطليعة الوفدية ،وهنا انتقلت دفة الحديث نحو ه بسؤال من أمين اسكندر: «هل تتذكر يا دكتور خالد شيئا عن نجيب محفوظ وجمال عبد الناصر؟».

يجيب خالد:هناك ذكريات كثيرة ،منها مثلا انه وفي الستينات في منزل منشية البكري الذي كنا نقيم فيه،كان عندنا سينما في البيت لأن الوالد كان من ضمن هواياته في أوقات فراغه القليلة مشاهدة الأفلام السينمائية،وكانت أفلام الأستاذ نجيب مقرر علينا مشاهدتها خمس أوست مرات ،لأن الوالد كان يحب روايات الأستاذ وأفلامه ،وكلما كان يشاهدها كنا طبعا نشاهدها معه.

جمال الغيطاني :هل كنت تكتفي يا دكتور خالد بمشاهدة السينما في منزل منشية البكري ؟

خالد:لا ..لا..كنت أتفرج في سينما عامة مع أصدقائي ،وأنا شاب كنت أحب مشاهدة السينما ،وأمارس حريتي قدر الإمكان .

أمين اسكندر :هل مثلا الأجهزة الأمنية كانت تراقبك ،وأي مكان تذهب إليه

كان يحدث فيه إزعاج؟

خالد:أنا كنت أمارس حياتي بطبيعية وكذلك إخواتي ،نذهب إلى المدرسة والجامعة مثل كل الطلاب الأمر لم يكن معقدا كما يتصور البعض .وأكثر شيء كان يشدد الوالد عليه ولم نكسره أبدا، هو عدم التعامل على أننا أبناء رئيس جمهورية في أي موقف صعب نتعرض له.

الغيطاني :على فكرة يا دكتور خالد جاء ذكر منزل منشية البكري أكثر من مرة وطبعا هو كان رمزا للكرامة العربية ،لكن يا ترى هل كان ملك الرئيس ،يعني ملك الأسرة ؟

يرد خالد :هو كان ملك الدولة ،تقدر تقول قطاع عام ، ورغم أن مجلس الشعب أصدر قرارا بعد وفاة الرئيس بأن يبقي المنزل للأسرة مدى الحياة ،إلا أننا سلمناه للحكومة بعد رحيل الوالدة (عام ١٩٩٠) بأيام قليلة.

يلتفت يوسف القعيد إلى نجيب محفوظ ،ويسأله:«أستاذ نجيب ..هل قابلت جمال عبد الناصر؟

يهز نجيب محفوظ رأسه متذكرا :« تقصد يا يوسف زيارة الأهرام » .

يسأله يوسف:ماذا حدث في هذه الزيارة ؟

يصمت نجيب محفوظ قليلا وكأنه يستجمع تفاصيل قصة مضى عليها أكثر من ٣٥ عاما ، ثم يقطع صمته قائلا:كان الرئيس يزور مبني الأهرام الجديد وكان معه الأستاذ هيكل رئيس التحرير، (يقصد محمد حسنين هيكل)،ولما كان الرئيس بيتفقد المبني من الداخل مر على حجرة يجلس فيها أدباء الأهرام ،وسلم علينا .

واصل يوسف القعيد سؤاله: الرئيس سلم فقط ،يعني لم يكن هناك كلام ، أو حوار منكم معه،ومن هم الأدباء الذين كانوا معك؟

يرد نجيب محفوظ: كان في الحجرة الدكتور حسين فوزي،وصلاح جاهين

وصلاح طاهر ،ولما جاء دوري في السلام عليه قال لي وهو يبتسم :« إيه يا نجيب من زمان ما قريناش حاجة لك»،فرد هيكل :«الأهرام ستنشر له قصة غدا لكنها من النوع اللي يودي في داهية»،فرد عبد الناصر ضاحكا موجها حديث إلى هيكل: «توديك إنت».

انتهى نجيب محفوظ من سرد قصته لكن الجدل حولها لم ينتهي في الجلسة .

قال يوسف القعيد : «الأستاذ هيكل يجزم أن ما نسب إليه ،وما نسب إلى عبد الناصر لم يحدث ،ومن رابع المستحيلات أن يقوله عبد الناصر ،وأن مناسبة الافتتاح لا يمكن أن يقال فيها مثل هذا الكلام» .

اكتفي نجيب محفوظ بهز رأسه تعليقا على كلام يوسف القعيد الذي أضاف : الرواية كانت «أولاد حارتنا»،وسأل الأستاذ :الرواية كانت أول عمل أدبي لك بعد ثورة يوليو ؟

يرد نجيب محفوظ :صحيح كانت بعد سبع سنوات تقريبا.

يعلق يوسف : توقف الأستاذ هذه الفترة لكنه عاد عن الكتابة بهذه الرواية القوية».

سألت يوسف القعيد عن ظروف نشر «أولاد حارتنا » فأجابني :الرواية وصلت إلى محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام عن طريق على حمدي الجمال الذي كان أحد محرري الأهرام وقتئذ وأصبح رئيس تحرير الأهرام فيما بعد ،قرأ هيكل الرواية بعناية وأدرك حجم المشاكل التي يمكن أن تجلبها فقرر نشرها يوميا وليس أسبوعيا كما كان متبعا ،وكان غرضه من ذلك هو تفويت الفرصة على الاعتراض المتوقع عليها خاصة من الأزهر ،وأثناء النشر تحرك بالفعل علماء الأزهر ضد الرواية ، فسأل عبد الناصر هيكل عنها فأجابه: «هذه رواية كتبها نجيب محفوظ ولابد من نشرها حتى آخر كلمة» ،وبالفعل تم نشرها .

تلتفت فريدة الشوباشي إلى الدكتور خالد الذي كان يتابع ما يقوله القعيد وتنقل الحديث إلى ضفة أخري ،قالت فريدة:"أنا فاكره يا دكتور خالد لما كنت في «ال .بي .بي.سي»،خرجت مع الجماهير في ٩ و١٠ يونية نطالب عبد الناصر بالعودة عن قرار التنحي ،ولا أنسي هتافات الجماهير :« يا خالد روح قول لأبوك .. العرب ميش هيسيبوك»،وفي جنازته هتفت مع الجماهير: « يا خالد روح قول لأبوك مية مليون بيودعوك».

سحبت هذه اللفتة المؤثرة من فريدة غمامة من الحزن بدت على وجه خالد ، الذي استمع إليها ليدخل في صمت ،ويستأذن في الانصراف.ثم يتجه إلى نجيب محفوظ، ويعانقه بحرارة قائلا:«إحنا كلنا بنحبك يا أستاذ» ،فيرد نجيب:«أشكرك يا خالد يا ابني على الخطوة دي ،باركتنا ربنا يخليك ،ويبارك فيك».

يخرج خالد وفي صحبته جمال الغيطاني ويوسف القعيد وفريدة الشوباشي ،وعلي باب المركب ،يقول الغيطاني :«علي فكرة يا دكتور خالد لولا عبد الناصر ماكنتش تعلمت لا أنا ولا يوسف ،ولا حتى دخلنا مدارس».

تدخل فريدة على نفس الخط قائلة:«وأنا كمان».

كان صوت أم كلثوم يتسلل عبر لراديو :«ذكريات ..داعبت قلبي وفكري»، وخالد ينظر إلى الثلاثة معلقا بصوت منخفض ،حزينا ،عميقا:«عبد الناصر كان رجل جدع مبتسم ،طيب ،علي فكرة أقول لكم حاجة :كان الريس ورفاقه في حصار الفالوجا عام ١٩٤٨ ،يأكلون البسكويت ،ومرة رأي نبات «الرجلة» في الأرض ، فأكلوه من الجوع والحرمان بسبب الحصار ،ولما أصبح رئيس جمهورية أصبحت «الرجلة» طبخة مقررة علينا مرة كل شهرين ،هو ده عبد الناصر يا جماعة عمره ما نسي أصله ولا ناسه والغلابة كانوا همه الكبير في كل شيء».

صافح خالد كل من الغيطاني والقعيد والشوباشي على وعد بلقاء آخر وفي

السيارة ،سألته :«ما رأيك في اللقاء ؟» رد:« زيارة من القلب ،هي رائعة،لكن تفتكر تسجيلك للجلسة هيفيدك في حاجة»،قلت له:«لا تسبق الأحدث».

سألت جمال الغيطاني في اليوم التالي للجلسة عن رأي نجيب محفوظ فيما حدث،فأجاب :«الأستاذ كان في حالة نفسية هائلة بعد زيارة الدكتور خالد ،وأنا بصفتي خبيرا به ،كنت ألاحظ ونحن في الجلسة تعبيرات وجهه فأجدها تعبر عن حالة هائلة من السعادة،وأقول لك: أن كثيرا من الآراء التي تقال عن نجيب محفوظ في ثورة يوليو تركز على أشياء دون أخري ،وأنا أعرفه من أربعين عاما ،وخلالها لم يتحدث عن عبد الناصر إلا بوصفه زعيما كبيرا ،والتحولات التي أحدثها عبدالناصر في المجتمع جعلته يتوقف عن الكتابة بعض الوقت،وكل الانتقادات التي ذكرها لم تؤثر في حبه وتقديره لجمال عبد الناصر .

أما يوسف القعيد وفي حديثي معه أيضا أكد لي نفس المعاني التي ذكرها الغيطاني، واستعرضت معه ما جاء في الجلسة حول الأعمال الروائية للأستاذ التي أثارت أزمات،فأعاد لي التأكيد على ملاحظة أن جميعها انتهت إلى إنصاف عبد الناصر له وحمايته ،مما يدل على تقدير كبير من عبد الناصر له.

ملاحظة القعيد تجد صداها الحقيقي في مذكرات نجيب محفوظ إلى رجاء النقاش وفي مواضع أخري ،هو يقول :«كانت السلطة في عهد عبد الناصر واثقة من حسن نواياي في كتاباتي ،ومن أنني أقصد من انتقاداتي صالح الوطن لا الإثارة أو تأليب الجماهير،وأظن أن عبد الناصر نفسه كان مدركا لهذه الحقيقة،بدليل انه تدخل لصالحي بعد نشر رواية «ثرثرة فوق النيل» ،ولم يترك الأمر لانفعال المشير عبد الحكيم عامر».

ويضيف :كان لدي شعور بالاطمئنان والثقة،وبأنني لن أتعرض لأي نوع من الغدر ،وشعوري بالثقة ،وإن كان يشوبه أحيانا بعض الاهتزاز ،لم يكن نابعا من

فراغ ،بل كان مبنيا على أسس وأدلة ،منها أن كل الروايات أو الأعمال الأدبية التي أثارت أزمات ،وعرضت على عبد الناصر لكي يفصل فيها ،جاء رأيه بشأنها إيجابيا ، حيث انحاز إلى جانب حرية التعبير،جري هذا لروايتي «ثرثرة فوق النيل»،ولرواية «شيء من الخوف»،وبالنسبة ل «شئ من الخوف» فإن عبد المنعم الصاوي الذي كان وكيلا لوزارة الثقافة في ذلك الوقت هو الذي لفت أنظار السلطة إليها ،وأكد أن ثروت أباظة يقصد الرئيس عبد الناصر بشخصية «عتريس »في الرواية ،وأن زواجه من «فؤادة » -أي مصر-باطل ،وعندما شاهد عبد الناصر الفيلم المأخوذ عن الرواية سمح بعرضه فورا ،وقال جملة مشهورة لا أنساها :«لوكنا إحنا احرامية ،وأنا عتريس ،يبقي ما نستهلش نقعد في الحكم »،وكانت هذه الواقعة هي بداية تراجع سلطة عبد المنعم الصاوي في عهد عبد الناصر،لأنه – بعدها- بدأ حجمه في الأفول .

يسرد نجيب محفوظ مواقف أخري ، يدلل من خلالها على رأي عبد الناصر الإيجابي في الأعمال الأدبية التي أثارت أزمات قائلا:«أما روايتي «ميرامار» فقد نشرت كاملة دون حذف كلمة واحدة منها في جريدة «الأهرام » ثم ظهرت بعد ذلك في فيلم سينمائي ،وشاهدها عدد من أعضاء الإتحاد الاشتراكي في عرض خاص ،فاعترضوا على الفيلم ،وقالوا أنه يتضمن هجوما صريحا على النظام ، وطالبوا بمنع عرضه ،وجن جنون منتج الفيلم جمال الليثي ،وراح يشكو في كل مكان ،حتي وصل صوته إلى الرئيس عبد الناصر،وكلف عبد الناصر نائبه أنور السادات بمشاهدة الفيلم وكتابة تقرير عنه ليتخذ قرارا عادلا في القضية ،يضيف محفوظ :«لما سمعت أن عبد الناصر اختار السادات للفصل في أزمة الفيلم قلت في نفسي :«عليه العوض ..الفيلم راح ».

يتذكر محفوظ:في اليوم التالي للعرض الخاص الذي شاهد فيه السادات الفيلم ، فوجئت بخبر منشور في جريدة «الأهرام » أصابني بالاستغراب والدهشة ،

فالسادات لم يوافق فقط على عرض الفيلم ،بل أنه أدلي بتصريح يمثل دعاية صريحة له ،فقد أكد أن الفيلم برئ تماما من تهمة العداء للنظام ،ودعا الجمهور إلى مشاهدته ،ضربت كفا بكف ،ولم أفهم تفسيرا لهذا الموقف إلا بعد وفاة عبد الناصر ، حيث اتضح لي أن السادات لم يفعل ذلك إلا من منطلق عدائه للإتحاد الاشتراكي ونكاية فيه ،وتم عرض الفيلم وحقق نجاحا جماهيريا كبيرا بفضل دعاية السادات له،وحقق رقما قياسيا في أسابيع العرض وقتذاك .

يبقي في تناول روايات نجيب محفوظ التي أثارت أزمات مع عبد الناصر الأزمة العنيفة التي أثارتها رواية «ثرثرة فوق النيل» عام ١٩٦٦،ويتحدث عنها نجيب في مذكراته إلى رجاء النقاش ، لكن رجاء يتناولها في موضع آخر من خلال اتصال به من سامي شرف مدير مكتب الرئيس عبد الناصر .

يقول نجيب في مذكراته عن الرواية:«بعد نشرها ثار المشير عبد الحكيم عامر ، وبلغني أنه هدد وتوعد بإنزال العقاب بي،بسبب النقد العنيف الذي ضمنته الرواية ، عن سلبيات قائمة في المجتمع ،وسمعه البعض يقول «نجيب زودها قوي ويجب تأديبه ووقفه عند حده».

يضيف نجيب :عندما جاء ثروت عكاشة لتهنئتي بجائزة نوبل حكي لي تفاصيل ما دار في كواليس السلطة عن أزمة «ثرثرة فوق النيل»،وكان عكاشة وقتئذ وزيرا للثقافة ،وبينما هو يستعد لرحلة عمل إلى إيطاليا ،استدعاه جمال عبد الناصر ،وسأله عما إذا كان قرأ الرواية ،ولما لم يكن قرأها طلب منه قراءتها وإبداء رأيه فيها بعد عودته من إيطاليا .

يواصل نجيب محفوظ ،قرأ ثروت عكاشة الرواية في أثناء الرحلة إلى إيطاليا ،وفي أول لقاء له مع الرئيس عبد الناصر دافع عنها وفند اتهامات المهاجمين لها ،وأكد للرئيس أنني أنبه إلى أخطاء موجودة وليس لدي سوء نية في مهاجمة نظام الحكم ،ثم

قال له :إن من الضروري أن يتوافر للأدب هذا القدر من الحرية ،لينقل صورة واقعية حقيقية عن المجتمع ،وإذا لم يجد الأدب هذا القدر من الحرية مات واضمحل تأثيره ،واستطاع ثروت عكاشة إقناع عبد الناصر بأن حرية الأدب هي أفضل دعاية للنظام في الخارج ،وبالفعل اقتنع عبد الناصر ،وقال للدكتور ثروت عكاشة :«اعتبر المسألة انتهت» ،وهكذا تراجع عبد الحكيم عامر عن تهديده بعقابي.

أما التناول الآخر من رجاء النقاش أيضا حول نفس القضية ،فيحتوي على تفاصيل أخري ذكرها له سامي شرف الذي يعتبره النقاش مرجعا صادقا وأمينا ، يقول النقاش:«بعد صدور رواية ثرثرة فوق النيل ،اتصل الفنان المعروف أحمد مظهر ،وهو صديق قديم وحميم لنجيب محفوظ بالأستاذ سامي شرف الذي كان مديرا لمكتب الرئيس عبد الناصر في ذلك الوقت ،وقال له :إن نجيب محفوظ يشعر بقلق شديد مما يسمعه من هجوم عليه وعلي رواية ثرثرة فوق النيل من جانب بعض المسئولين وعلي رأسهن المشير عامر ، وأن نجيب محفوظ لا يجد مبررا لهذا الغضب الرسمي عليه،فهو ليس بأي حال من الأحوال من أعداء الثورة ،وأن ما جاء في الرواية من نقد لبعض السلبيات هو نقد من داخل الثورة وليس من خرجها ،أي أنه نقد ايجابي يهدف إلى تصحيح بعض لأخطاء الواضحة حتى تسير سفينة البلاد دون كوارث أو أزمات ،وهذا هو واجب أديب كبير صاحب ضمير وطني مثل نجيب محفوظ .

وطلب الفنان أحمد مظهر من السيد سامي شرف أن يتفضل بعرض الموضوع على الرئيس عبد الناصر ،والرئيس يعرف أحمد مظهر جيدا ،فقد كان زميلا له في الكلية الحربية ،كما كان واحدا من الضباط لأحرار كمل هو معروف ،وقد كلفه عبد الناصر قبل الثورة ببعض الاتصالات السياسية ،خاصة أن أحمد مظهر كان متزوجا من ابنة وزير الخارجية الشهير في عهد الوفد الدكتور محمد صلاح الدين .

يضيف رجاء :استجاب السيد سامي شرف لما طلبه أحمد مظهر من عرض موضوع رواية ثرثرة فوق النيل على الرئيس عبد الناصر ،وكان السيد سامي شرف يعلم أن هناك غضبا ضد الرواية بين عدد من كبار رجال السلطة في ذلك الوقت ، وكانت بداية الغضب الشديد من عند صلاح نصر رئيس المخابرات آنذاك ،ومعه مسئولون آخرون مثل شمس بدران ،وتم تصعيد الغضب إلى المشير عامر ،ومعني هذا أن نسبة الغضب على الرواية كانت أعلي بكثير مما تصوره نجيب محفوظ وأحمد مظهر ،وكان هناك مسئولون كبار آخرون في مواقع السلطة من الغاضبين على الرواية والمطالبين بالتصرف معها ،ولم يكن التصرف يعني بالطبع سوي المصادرة ثم توقيع جزاء مناسب على نجيب محفوظ ،والله وحده يعلم ماذا يمكن أن يكون مثل العقاب الذي كان يدور في خاطر رجال أشداء لهم كلمة مسموعة ونفوذ واسع في ذلك الوقت مثل صلاح نصر وشمس بدران ،فضلا عن المشير عامر.

عرض سامي شرف الموضوع بكل تفاصيله على الرئيس عبد الناصر ،وأوضح أمامه قلق نجيب محفوظ ،وصورة من غضب المسؤولين الثائرين على الرواية ،فماذا قال عبد الناصر بعد ذلك حسب ما يذكره النقاش نقلا عن سامي شرف؟.

قال عبد الناصر:

إحنا عندنا كام نجيب محفوظ ؟ انه فريد في مكانته وقيمته وموهبته ،ومن واجبنا أن نحرص عليه كما نحرص على أي تراث قومي وطني يخص مصر والمصريين .

نجيب محفوظ لم يثبت عليه أبدا سوء نية تجاه الثورة مثل غيره من بعض الكتاب المعروفين،وأضاف عبد الناصر،الأهم من ذلك كله ،أن الرواية فيها نقد ،وأن النقد الذي تنطوي عليه صحيح ،وأن علينا أن نعترف بوجود السلبيات التي تشير إليها ، ونعمل على الخلاص منها بدلا من أن نضع رأسنا في الرمال وننكر حقيقة ما تنبهنا إليه الرواية ،وكأنه غير موجود ..رغم أنه موجود ونحن نعترف بيننا وبين أنفسنا

بذلك.

التقي عبد الناصر والمشير عامر ، وفي اللقاء طلب عبد الناصر من عامر استبعاد أي إجراء سلبي في حق الرواية وكاتبها الكبير وانتهي الأمر[1] .

نجيب محفوظ وخالد جمال عبد الناصر

(١) ملحوظة : بعض الوقائع التاريخية التي سردها الأستاذ نجيب محفوظ في الجلسة تم تدقيقها وضبطها مع سرده لها في مذكراته مع الكاتب والناقد رجاء النقاش ..رحم الله الاثنين.

- فاز نجيب محفوظ بجائزة مبارك في أول عام تم الإعلان عنها.

خالد عبد الناصر بين الإعلامية فريدة الشوباشي ونجيب محفوظ

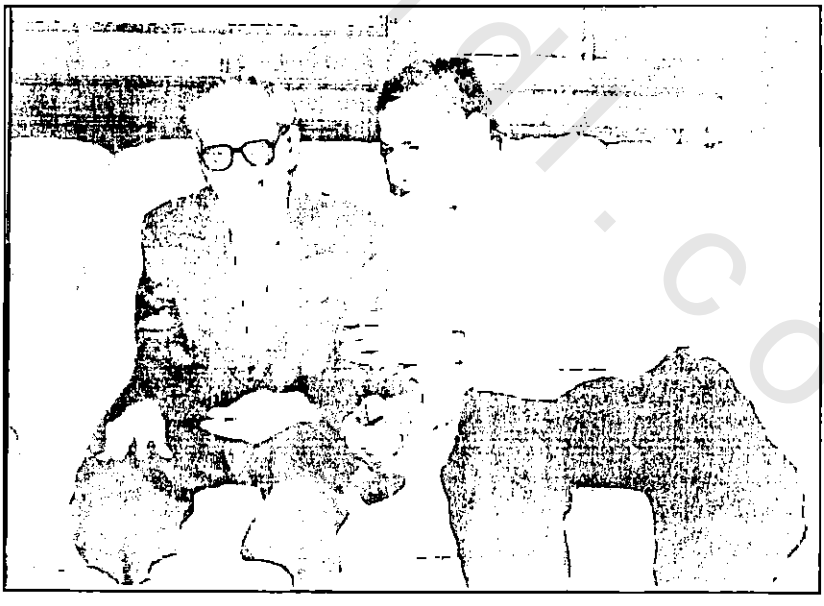

خالد عبد الناصر ونجيب محفوظ في وصلة ضحك

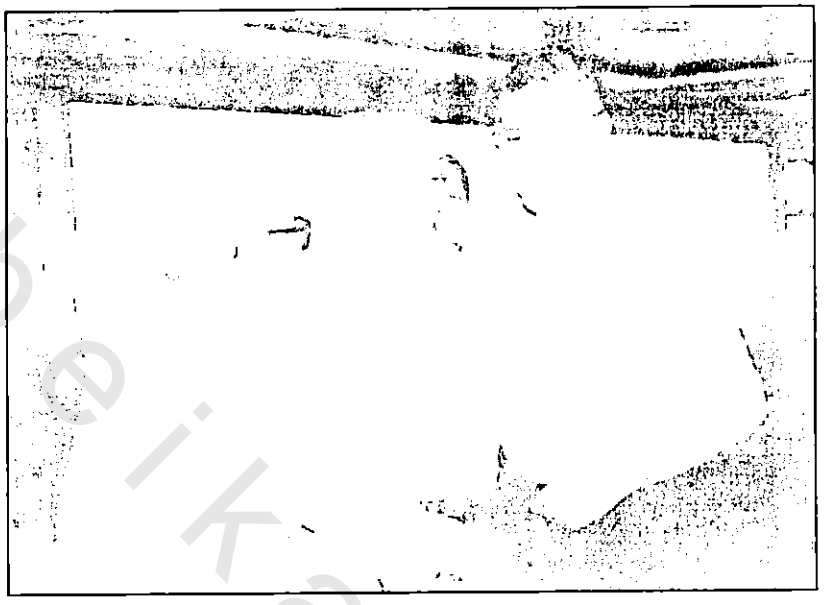

ترحيب متبادل من خالد ونجيب وجمال الغيطاني

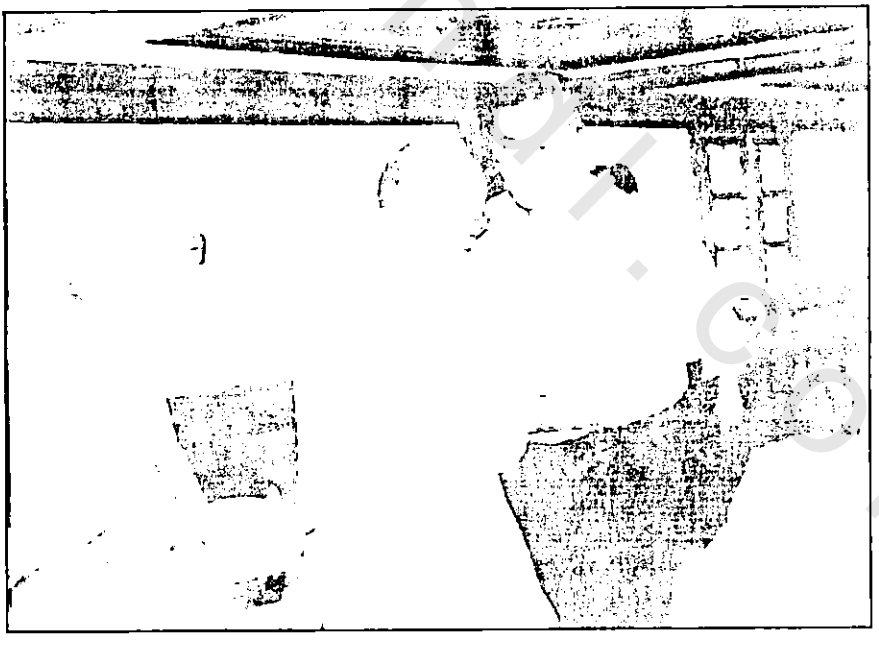

نجيب محفوظ واقفا لاستقبال خالد عبد الناصر .. والغيطاني يرحب بخالد

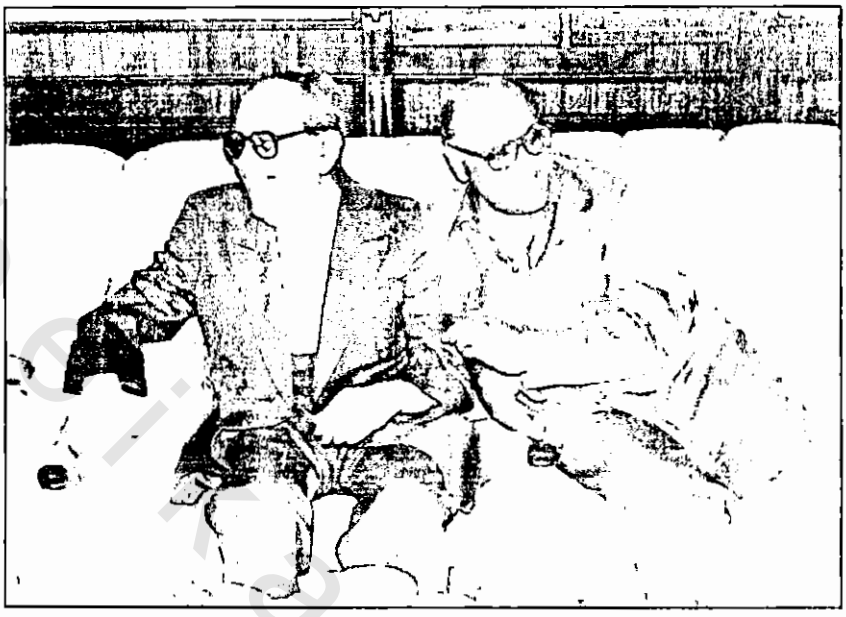

يوسف القعيد في وصلة ضحك مع نجيب محفوظ

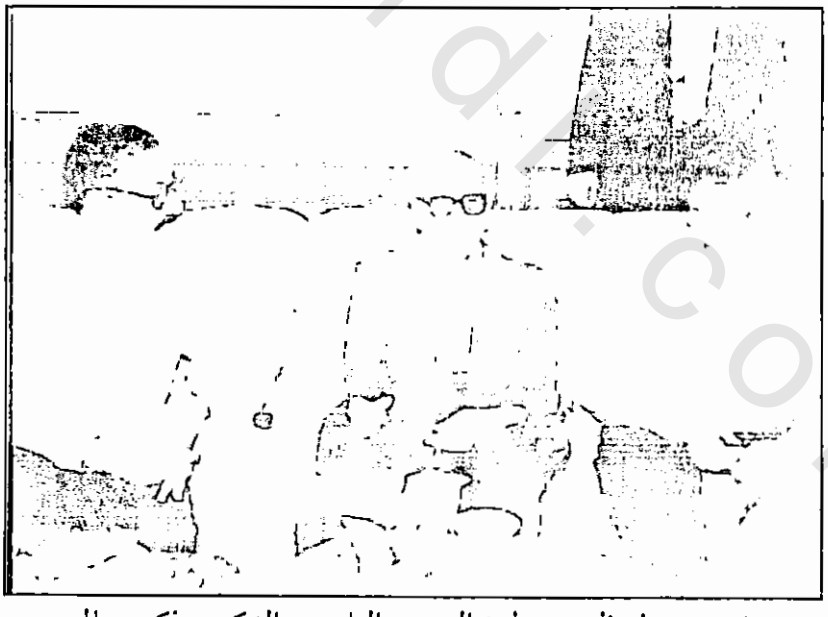

نجيب محفوظ يتوسط خالد عبد الناصر والدكتور ذكي سالم

خالد والغيطاني يتحدثان

خالد يتابع باهتمام الحديث الدائر في الجلسة

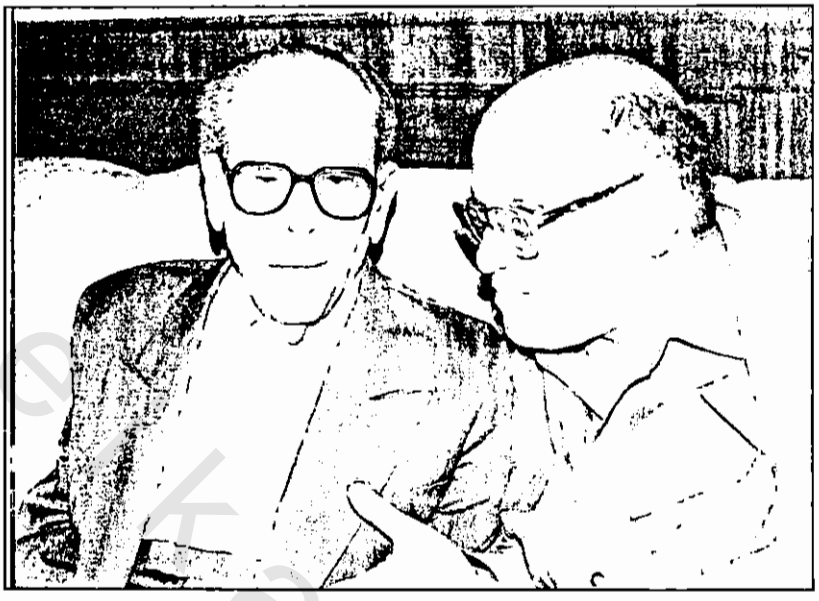

القعيد يشرح لنجيب أهم الأخبار

نجيب محفوظ وخالد عبد الناصر

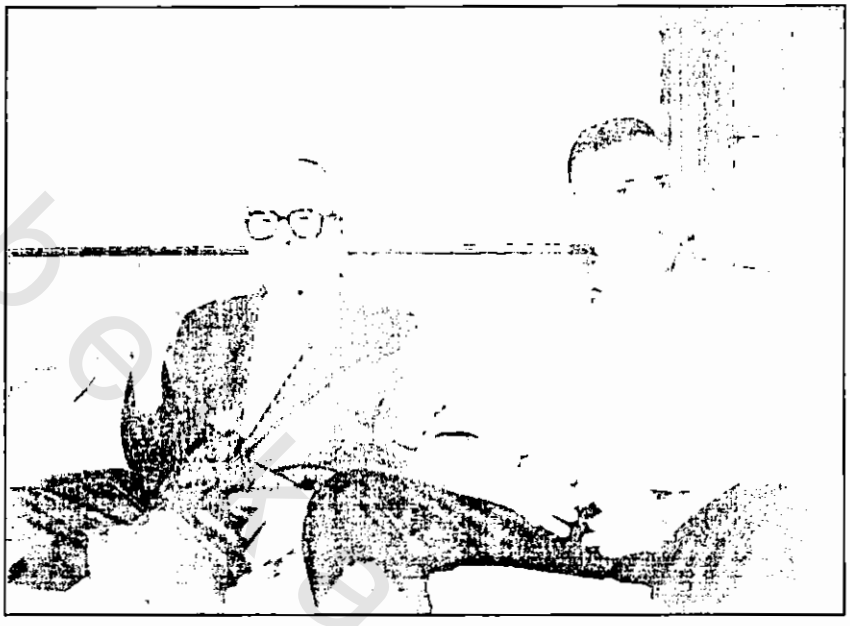

نجيب وخالد

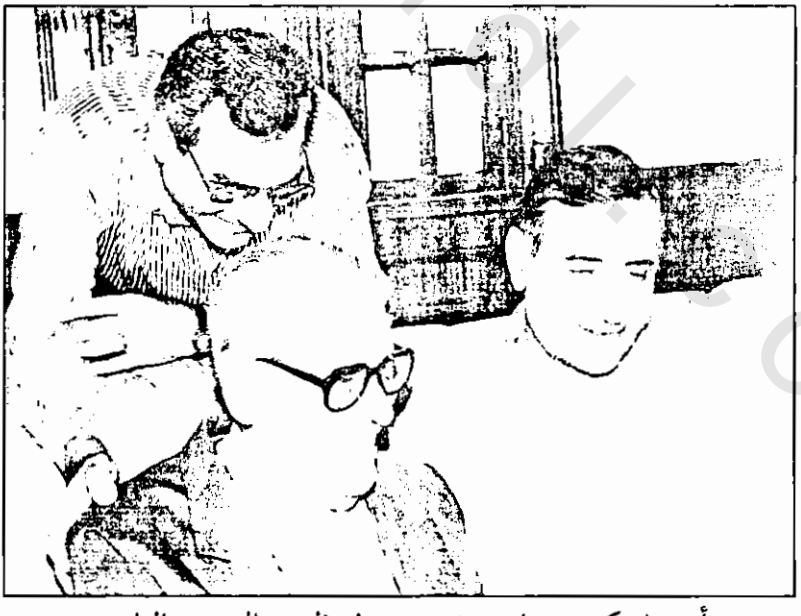

أمين اسكندر يداعب نجيب محفوظ وخالد عبد الناصر

ضحك من الغيطاني وذكي سالم .. ونجيب محفوظ يستمتع بسيجارته

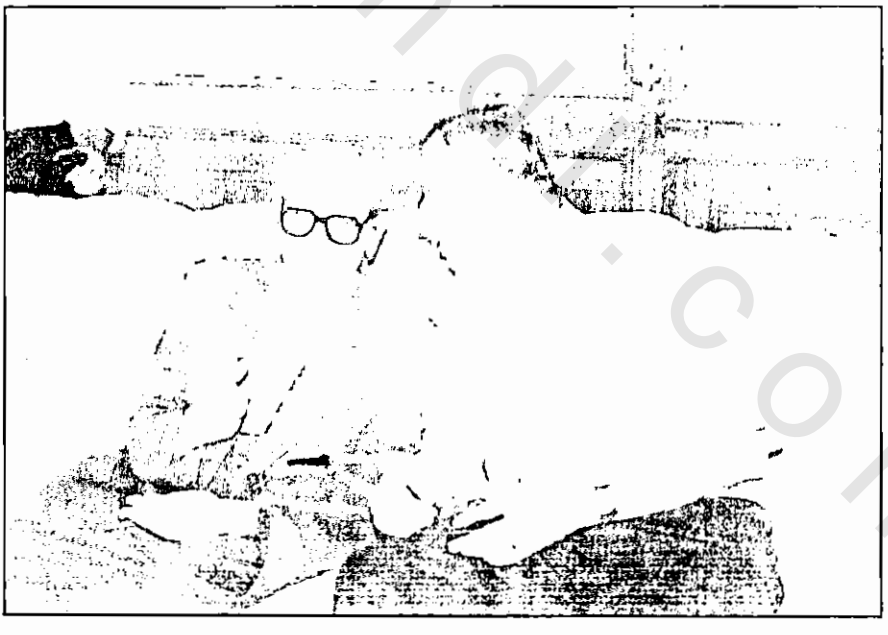

خالد يهمس في أذن نجيب

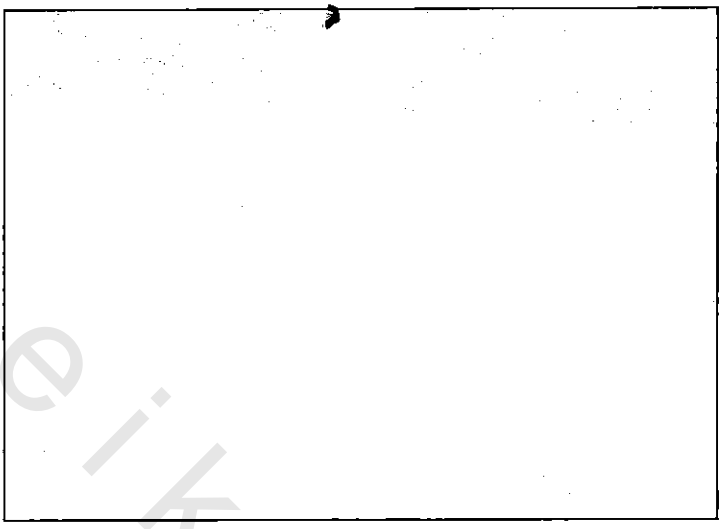

خالد يدخل علي نجيب ، وبينهما الغيطاني

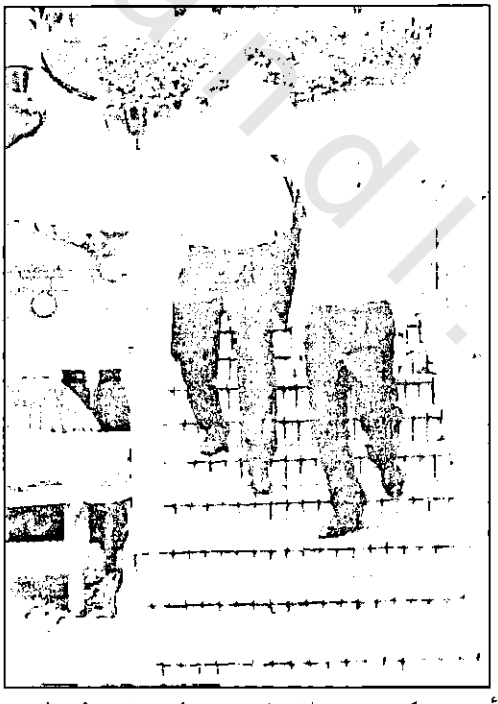

خالد عبد الناصر وأمين اسكندر وخلفهما سعيد الشحات في طريق اخروج من المركب

الصور الخاصة بنجيب محفوظ وخالد.. تصوير محمد سليمان .. وأرشيف سعيد الشحات

obeikandi.com